Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الشافعى قبل أن يذهب لمالك من مكة إلى المدينة، كان قد سلح نفسه بالكثير. فقد تربى الشافعى تربية عربية خالصة، بل إنه فى مكة قضى عشر سنوات من عمره الحافل فى بادية مكة فى شعب الخف، وسط بنى أسد، المعروفين بأنهم كانوا من أفصح العرب. وهناك درس شعر الهذليين وأتقنه وحفظه حتى أن الأصمعى قال يومًا «صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس». وقال ابن هشام النحوى المعروف: «طالت مجالستنا للشافعى فيما سمعت منه لحنة قط، ولا كلمة غيرها أحسن منها».

والواقع أن الشافعى كان أديبًا كبيرًا، بجانب أنه فقيه لا يبارى.

يقول أحمد أمين فى كتابه «ضحى الإسلام»: «يعرف الناس كلهم الشافعى الفقيه، ولكن قلما يعرفون الشافعى الأديب. وتظهر فصاحة الشافعى فى كتاب «الأم»، أكثر ما تظهر. لكن ربما منع الشافعى من الاشتغال بالأدب ـ خاصة الشعر ـ هو أن الاشتغال بالفقه والإمعان فيه كما يرى ابن خلدون يضعف الملكة الشعرية والملكة البلاغية. وربما أيضًا الذى منعه من الاشتغال بالشعر، أنه كما يرى أن الشعر يزرى بالفقه، فلم يطاوع فى شعره نفسه».

والذى أريد أن أقوله هنا: إن الشافعى قد تمكن من الأدب ليطوعه فى خدمة هدفه ورسالته فى أصول الفقه. فقد كان قوى الحجة وقد بلغت قوة حجته وإقناعه، أنها أفتدت روحه. فقد حاج هارون الرشيد وعلماء بغداد من حوله، حتى فك أسره وعفا عنه. ثم إن الشافعى مع قوة حجته وبلاغته كان جميل الصوت.

* * *

إلى المدينة المنورة كانت أولى رحلات الشافعى، حيث صار التلميذ أستاذًا، بعد أن وثق فيه الإمام مالك، حتى أن الأخير ـ كما قلنا ـ استضافه ثمانية أشهر، وجعله يعطى «الموطأ» للشافعى ليمليه على الناس ليكتبوه، بدل أن يقرأه مالك عليهم.

بل إن الشافعى فى المدينة المنورة ـ كما يقول مصطفى منير أدهم فى كتابه «رحلة الإمام الشافعى رضى الله عنه إلى مصر» ـ بدأ يتعرف على المصريين الذين مالت